الغزو البرتغالي لمملكة هرمز ١٥٠٧م/ ١٥١٥م

الباحثة/ مريم إبراهيم محمد أمين إبراهيم

إشراف

الأستاذ الدكتور/ محمد سيد كامل

ملخص البحث:

استهدفت السياسة البرتغالية منطقة الخليج العربي، لاسيما في أعقاب السيطرة على مملكة هرمز، تلك التى كانت تمثل نقطة ألتقاء مجمل النشاط البحري في المنطقة، وكان هدفهم السيطرة على الموارد المالية التى كانت تحصلها جزيرة هرمز وأتبعت سياسة القهر والتنكيل والعسف المبالغ فيه، عبر استخدام القوة المفرطة، من أجل فرض الضرائب ومحاولة السيطرة على الجمارك وتحصيل الأموال على السفن العابرة لهرمز، بل والتحكم في طبيعة البضائع المارة، وتطلعوا نحو فرض حضورهم على النشاط التجاري المتعلق بصيد اللؤلؤ، أو تجارة الخيول التي كان يتم تصديرها من البصرة إلى الهند، إلى جانب التحكم بسير السفن.

وكانت الحملات البرتغالية على مملكة هرمز في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي قد فتحت باب الأستعمار الأوروبي في الخليج العربي، حيث أصبحت هرمز محل تنافس دولي كونها مفتاح للخليج، وبإحكام السيطرة عليها يسهل احتلال جميع الموانئ الرئيسة المنتعشة في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: مملكة هرمز– الخليج العربي– الاحتلال البرتغالى.

Research Summary:

Portuguese policy targeted the Arabian Gulf region, especially in the wake of controlling the Kingdom of Hormuz, which represented the meeting point for all maritime activity in the region. Their goal was to control the financial resources that the island of Hormuz was collecting, and they followed a policy of oppression, abuse, and exaggerated abuse, through the use of excessive force. In order to impose taxes and try to control customs and collect money on ships passing through Hormuz, and even control the nature of the goods passing by, they looked to impose their presence on the commercial activity related to pearl fishing, or the trade in horses that were exported from Basra to India, in addition to controlling the flow of goods Ships.

The Portuguese campaigns against the Kingdom of Hormuz at the beginning of the tenth century AH / sixteenth century AD opened the door to European colonization in the Arabian Gulf, as Hormuz became a subject of international competition as it was the key to the Gulf, and with tight control over it, it would be easy to occupy all the major thriving ports in the region.

Keywords: Kingdom of Hormuz - Arabian Gulf - Portuguese occupation.

المقـــــدمة:

يتمتع الخليج العربي بموقع استراتيجي متميز، الأمر الذى جعله هدفًا للأطمـــاع الأوروبيـــة حيث كانت هذه المنطقة تشكل طريقًا مهمًا للتجارة العالمية ولـــذا فقـــد تميـــزت موانئهـــا بالأنتعاش الاقتصادي، وتعد جزيرة هرمز أحد أبرز تلك الموانئ التـــى ظهـــرت أهميتهـــا بشكل كبير، وذلك مكنها من القيام بدور سياسي واقتصادي واضح في المنطقة، مما جعـــل الدول الإستعمارية تتطلع للسيطرة على هذه الجزيرة التى تتمركـــز فـــي موقـــع جغرافـــي حساس بعد الأستعمار البرتغالي لهرمز بداية لموجات الأطماع الأوروبية في الخلـــيج، لقـــد شكلت الفترة من ١٥٠٧– ١٦٢٢م تنافسًا شديدًا بين القوي الـــثلاث حيـــث كـــان للوجـــود البرتغالي في هرمز دور مؤثر في إشعال فتيل الصراع والتنافس عليها وذلـــك لاعتبـــارات عديدة أبرزها استراتيجية موقع هرمز في الخليج ولكونها كانـــت تمثـــل تنظيمًـــا سياســـيًا واقتصاديًا له قوته بالمنطقة في ذلك الوقت(١).

ينبغى الأشارة إلى أن القوي الإسلامية الكبري التى وجدت وبرزت في العالم منـــذ بدايـــة الوجود البرتغالي في هرمز تمثلت في كلٍ مـــن: الدولـــة المملوكيـــة، الدولـــة الفارســـية، والسلطنة العثمانية إلا أن هذه القوى لم تسع إلى توحيـــد صـــفوفها لمواجهـــه المـــستعمر البرتغالي، بل أنها كانت تتعاون ضد بعضها البعض ودخلت في مواجهات عسكرية مباشرة بينها فكانت هذه التصادمات من ضـــمن الأســـباب التـــى ســـهلت للبرتغـــاليين عمليـــاتهم الأستعمارية في منطقة الخليج(٢)؛ ومع بداية الغزو البرتغالي للخليج العربي كانـــت هنـــاك قوتان متنافستان، هما مملكة هرمز والإمارة الجبرية، أمّا عُمان فكانـــت تعـــاني أوضـــاعاً سياسية غير مستقرة بسبب الصراع بين النبهانيين والإباضية(٣).

(١) محمد حسن العيدروس: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط٢، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨م، صـــ١١

(٢) الغالية بنت سالم بنت خليفة المغيرية: الصراع البرتغالى الفارسى العثمانى على جزيرة هرمز (١٥٠٧– ١٦٢٢م) رسالة ماجستر في الآداب، قسم تاريخ، المـــشرف بـــوعلام البوسعيدي ابراهيم بن يحيي بلقاسمي، جامعة السلطان قابوس سلطنة عمان، ١٤٣٧ه/ ٢٠١٦م، صـــ١٠

(٣) مريم جمعة عبد الله: القوى السياسية في منطقة الخليج العربي، مجلة مدرات ونقوش، العدد ١٦–١٧، ١٤٤٤هـــ/ ٢٠٢٣م.

التمهيد:

يتمتع الخليج العربي بموقع استراتيجي متميز، الأمر الذى جعله هدفًا للأطماع الأوروبية حيث كانت هذه المنطقة تشكل طريقًا مهمًا للتجارة العالمية ولذا فقد تميزت موانئها بالأنتعاش الأقتصادى، وتعد جزيرة هرمز أحد أبرز تلك الموانئ التى ظهرت أهميتها بشكل كبير، وذلك مكنها من القيام بدور سياسي واقتصادي واضح في المنطقة، مما جعل الدول الإستعمارية تتطلع للسيطرة على هذه الجزيرة التى تتمركز في موقع جغرافي حساس بعد الأستعمار البرتغالي لهرمز بداية لموجات الأطماع الأوروبية في الخليج، لقد شكلت الفترة من ١٥٠٧– ١٦٢٢م تنافسًا شديدًا بين القوي الثلاث حيث كان للوجود البرتغالي في هرمز دور مؤثر في إشعال فتيل الصراع والتنافس عليها وذلك لاعتبارات عديدة أبرزها استراتيجية موقع هرمز في الخليج ولكونها كانت تمثل تنظيمًا سياسيًا واقتصاديًا له قوته بالمنطقة في ذلك الوقت.

ولعل مايلفت النظر أن الدولة الصفوية الناشئة قرب "الأناضول" في ذلك الوقت لم تتعاون مع مملكة "هرمز" العربية لمقاومة الأستعمار البرتغالي، تلك الملاحظة لها أهميتها الخاصة، ليس لأن ذلك دليل واضح على عدم تبعية "هرمز"، للدولة "الصفوية" أو الدول التى سبقتها في إيران، بقدر مايرجع إلى عدم مقدرة إيران في ذلك الوقت على احتلالها كما كانت تتخوف من منافستها، إضافة إلى أن مملكة هرمز العربية كانت أقدم بكثير من الدولة الصفوية التى نشأت بعد نهاية ممالك الأتراك في شمال إيران و"الأناضول"، وكانت عاصمتها في تبريز قبل أن تنتقل إلى أصفهان بعد تدميرها واجتياحها من قبل العمانيين، ومن هناك بدأت تتجه وتتوسع نحو سواحل الخليج العربي الشرقية، كما وجدت لاحتلال البرتغال الصليبي لمملكة هرمز العربية فرصة سانحة للتعاون معه ضد الدولة العثمانية الإسلامية[١].

(١) محمد حسن العيدروس: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، صـ١٥.

الغزو البرتغالي لمملكة هرمز ١٥٠٧م/ ١٥١٥م:

Portuguese occupation of the Kingdom of Hormuz ١٥٠٧ / ١٥١٥ AD:

الحملات العسكرية على هرمز

هرمز مركز الحكم البرتغالي في الخليج(١)

Hormuz The Centre of Portuguese Rule in the Gulf

وصل البرتغاليون إلى سواحل الهند عام ٩٠٤ه/١٤٩٩م، وزار البوكيرك الهند أول مرة عام ٩٠٩ه/١٥٠٤م، ووضع خطة الأستيلاء على منافذ البحر الأحمر والخليج العربي لاستمرار السيطرة البرتغالية وتأمين التجارة، وعندما رجع إلى البرتغال وعاد إلى الهند حمل معه أمرًا، هو تعيينه نائبًا للملك في الهند وذلك عام ٩١٢ه/١٥٠٧م؛ هاجم البوكيرك سقطرى، واستولى عليها عام ٩١٣ه/١٥٠٨م واتخذ منها مركزًا لشن الهجمات، وأقام بها مستودع وقاعدة بحرية ليتمكن الأسطول البرتغالي من أستخدامها والخروج منها لمقاتلة السفن المصرية والعربية ولغلق باب المندب للقضاء على أى أثر للتجارة العربية–الهندية؛ وانطلق إلى عدن ولكنه فشل في دخولها، فاتجه إلى ساحل عُمان فمّر على جزيرة المصيرة ورأس الحد، وصور، وقد أرهب السكان بأعماله الوحشية وأفعاله التى يندى لها الجبين ودمر سفنًا لصيد السمك كانت قادمة من جزيرة هرمز ومدينة قلهات؛ ووصل إلى قلهات، وطلب من حاكمها "شرف الدين" التسليم فوافق خوفًا على مدينته من التدمير، وإلحاق الشر بالسكان، وعقد معه صلحًا ومع ذلك فلم تسلم المدينة من الخراب، وانتقل إلى قريات، ووجد عند أهلها فكرة المقاومة، فبدأ بالقصف، فقاوم الأهالى ثم استسلموا فجدع الأنوف، وقطع الآذان، وارتكب أسوء أنواع الاعتداءات والمنكرات، وسار بعدها إلى مسقط، وكان أهلها قد حصنوها، فأرسل لهم وفدا للمفاوضة، فأبدوا استعدادهم للسلم على ألا تصاب مدينتهم بأذى، وجاءت نجده إلى المدينة من هرمز، فظهر على حاكم مسقط أنه يتكلم من مركز القوة، ومع ذلك فقد قبل كل شئ من البرتغاليين لكنه أبى الخضوع لملك البرتغال، ولذا فقد بدأ الهجوم البرتغالى، واستمر كعادته حتى كانت له الغلبة، وفعل المهاجمون بأهل مسقط ما تشمئز منه الإنسانية، ثم انتقل إلى صحار فوافق أهلها على الأستسلام والخضوع لملك البرتغال، ومع أنها لم تسلم من شرّ المتوحشين إلا أن طريقة معاملتهم كانت أقل سوءًا وبشاعة واتجه بعدها إلى خورفكان فلم تستسلم وقاوم أهلها مقاومة عنيفة، وانتقلوا إلى القلعة يدافعون عن أنفسهم، بعد أن أخلوا المدينة التى نُهبت

(١) Mohammed Hameed Salman (MA): Aspects of Portuguese Rule in the Arabian Gulf, ١٥٢١–١٦٢٢, Being a Thesis submitted for the Degree of Doctor of Philosophy In the University of Hull, December ٢٠٠٤, p١٤١.

ودُمرت، ثم صار إلى هرمز وكان ملكها سيف الدين أبا نصر صغيرًا فرفض الوصي عليه خواجة عطار الاستسلام فصب البرتغاليون جام غضبهم على المدينة، وتمكنوا من إحراز النصر بسبب تفوق الأسلحة فنالت المدينة مانال من غيرها، وكان الهدف من احتلال هرمز وتحصينها بقلاع حربية لسد مدخل الخليج العربي أمام التجار المسلمين تلقي البرتغاليون خلال احتلالهم هرمز مقاومة شديدة من قبل سكانها فلم تستسلم بسهولة بالرغم من عدم تكافؤ القدرات العسكرية بين الطرفين وكانت لصالح القوات البرتغالية، مما دفع حاكمها للاستسلام وتم عقد معاهدة بين البرتغاليين والهرامزة وهى تنص على:

١. تدفع هرمز أتاوة سنوية مقدارها خمسة عشر ألف أشرفي لملك البرتغال ولورثته من بعده، ويكون لملك البرتغال الحق في زيادة هذا المبلغ وقت يشاء ذلك.
٢. تدفع هرمز خمسة آلاف أشرفي نقدًا للمساهمة في نفقات الأسطول البرتغالي.
٣. تعفى البضائع البرتغالية القادمة إلى هرمز من الرسوم الجمركية، أما البضائع التى يشتريها البرتغاليون من هرمز والموانئ التابعة لها فتدفع عليها رسوم جمركية تماثل تلك التى يدفعها سكان البلد الأصليون.
٤. تثبيت الملك سيف الدين ملكًا على هرمز وخواجا عطار وزيرًا أو حاكمًا إلى جانبه على أن تكون تبعيتها لملك البرتغال، وقد وقعت هذه المعاهدة في العاشر من شهر تشرين الأول٩١٢هـ/ ١٥٠٧م.
٥. عدم السماح لسفن الأهالي بممارسة أي نشاط تجاري أو بحري في مياة الخليج العربي، إلا بعد حصولها على تصريح من البرتغاليين.
٦. أن يسمح للبرتغاليين بإقامة منشأة عسكرية في بلاده.

وتم كتابة المعاهدة باللغتين العربية والفارسية وتم رفع علم البرتغال على سارية قصر ملك هرمز، وأمر البوكيرك ببناء قلعة لتكون قاعدة للأسطول البرتغالي الذى سيعمل في الخليج أطلق علها "سيدة النصر" nossa senhora de fatima victoria[1].

(١) سويم العزى: الشيخ زايد ودورة في نشوء وتطور دولة الأمارات العربية المتحدة، مركز الكتاب الأكاديمي، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، صـ٣٦؛ فالح حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ،٩٣هـ:١١٣٤هـ/ ٧١١م:١٧٢٠م، ط١، المجمع الثقافي ، أبو ظبي- الأمارات، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، صـ١٦٩، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٧، ١٨٨؛ إسماعيل نوري الربيعي: السيطرة البرتغالية وأثرها على النشاط البحرى في منطقة الخليج العربي ١٥٠٧-١٥٢١، مجلد٢، ع٣، صـ٧٩؛ عمر جبرى:عرقلة العثمانيين للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية (١٤٩٧م-١٥٥٤م)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. فله مساوى القشاعى، قسم التاريخ-كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية- جامعة الجزائر، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، صـ١٠٦: ١٠٩؛ ج.ج.لوريمر: دليل الخليج، د.ط، ج١، القسم التاريخى، طبعه جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، د.ت، صـ١٣٣، ١٣٤؛ زهير قاسم السامرائي: إمارات عربية خالدة في التاريخ "إمارة هرمز نموذجاً" دراسة تاريخية للدور السياسي والأقتصادي في الخليج العربي، كلية الآداب، جامعة سامراء، مجلة البحوث كلية الآداب، صـ ١٠

Shastry, B.s: A CENTURY OF SEA TRADE BETWEEN PORTUGUESE GOA AND HORMUZ ١٥١٠-١٦٢٢ A.D

مركز عيسي الثقافي- مركز الوثائق التاريخية، مجلد ١١، ع٢٢، صـ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧

ومن ثم ثار عليه قواده في هرمز كما قام بعضهم بالتآمر مع الحاكم المحلى للمدينة وهكذا تدهور وضع البوكيرك فاضطر إلى العودة إلى جزيرة سقطرى؛ ورجع البوكيرك عام ٩١٤ه/١٥٠٨م من سقطري إلى قلهات للأنتقام منها لأنها قدَّمت مساعدات إلى هرمز أثناء حصارها، فنهب المدينة وأراد الغدر بحاكمها شريف الدين الذي دعاه لزيارته في السفينة البرتغالية فاعتذر له بلباقة أنجته مما خطط له المجرم البوكيرك، ثم صار إلى هرمز، وألقى الحصار عليها ولكن جاءته الأوامر بالقدوم من نائب ملك البرتغال المقيم في الهند، فترك الحصار، واتّجه إلى الهند حيث تسلم هناك نائبًا للملك عام ٩١٥ه/١٥٠٩م؛ بقيت عين المستعمر البرتغالى راصدة للنشاط التجاري في المنطقة حتى تمت مطالبة هرمز بتقديم نسبة أعلى من الضريبة مما حدا بها إلى الرفض، الأمر الذى دفع البوكيرك من قيادة حملة عسكرية جديدة عام ٩٢٠ه/١٥١٥م(١).

المفاوضات البرتغالية الإيرانية وموت البوكيرك ٩٢١ه/ ١٥١٥م:

لقد خشي ألبوكيرك بعد استيلائه على جزيرة هرمز من خطورة تدخل الشاه إسماعيل الصفوي، لأخذ هذه الجزيرة منه لأهميتها الإستراتيجية في الملاحة البحرية بالنسبة لمنطقة الخليج العربي من جهة، ولما كان يربط حاكم هرمز من علاقة صداقة وتعاون مع الشاه إسماعيل ولذلك تقرب البوكيرك للشاه طمعًا في تأمين نفسه محاولة منه لضرب القوى العربية المحلية في الخليج والعثمانية كذلك، لذلك أرسل البوكيرك مبعوثة الخاص إلى الشاه إسماعيل يحمل معه رسالة خطية كتب له فيها: "أننى أقدر لك أحترامك للمسحيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لأستخدامها ضد قلاع الترك في الهند، وإذا ماأردت أن تنقض على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدنى بجانبك في البحر الأحمر، أما جدة أو في عدن أو في البحرين أو في القطيف أو في البصرة وسيجدنى الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل مايريد"

لكن ماكان يخشاه البوكيرك ماحدث بالفعل اعترف حاكم هرمز بسيادة الصفويين على الجزيرة وتخلص من سيطرة البرتغاليين عليها عام٩١٣ه/ ١٥٠٨م كما رفض خلالها حاكم هرمز دفع ماعليه من ضرائب، فقرر البوكيرك معاوده احتلال الجزيرة مرة ثانية(٢)؛

---

(١) إسماعيل نوري الربيعي: السيطرة البرتغالية وأثرها على النشاط البحرى في منطقة الخليج العربى ١٥٠٧-١٥٢١، مجلد٢، ع٣.، صـ٧٩؛ فالح حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ، صـ١٦٩، ١٧٤، ١٧٥؛ ارنولد ويلسون: تاريخ الخليج، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط٤، مسقط، سلطنة عُمان، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، صـ٧٨.

(٢) عمر جبرى: عرقلة العثمانيين للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية (١٤٩٧م-١٥٥٤م)، صـ١٠٩، ١١٠؛ في عام ٩١٤ه/ ١٥٠٨م؛ اضطر البوكيرك لترك جزيرة هرمز وذلك بسبب الخلافات الشديدة التى ظهرت بين الملاحيين وكبار ضباط البحرية البرتغاليين وعاد إلى الهند وانصرف عن متابعة فتوحاته في الخليج، وحينما عزل ألميدا في عام ٩١٥ه/ ١٥٠٩م من منصب نائب الملك في الهند جلس البوكيرك مكانه؛ اضطر البوكيرك لعدم مغادرة الهند لمدة ثلاث سنوات وفي عام ٩١٨ه توجه للاستيلاء على ميناء عدن ومدينة مكة ولكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه واكتفى بالحصول على الخروج من جزيرة هرمز،(نصر الله فلسفي: إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي٩٠٦-١١٤٨ه/ ١٥٠٠-١٧٣٦م، ترجمة وتقديم محمد فتحى يوسف الريس، د.ط، دار الثقافة للطابعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٩ه/ ١٩٨٩م، صـ١٣)

وكان أحد الضباط والجنود الوطنيين ويدعى الريس حامد حاكم مسقط الفارسي قام بثورة وقبض على تورانشاه ملك هرمز، وأودعه السجن، ونادى بنفسه ملكًا على هرمز وتسلم مقاليد الأمور في الجزيرة وأعلن تبعيته لفارس وصلت أخبار الثورة إلى البوكيرك فتحرك بنفسه ومعه ست وعشرون سفينة، وألفين ومائتين من الجنود واتجه نحو الخليج الفارسي وأمطر المدينة بوابل من الرصاص والقنابل حتى استسلم له الريس حامد وأطلق سراح تورانشاه وبذلك دخلت هرمز وقلاعها تحت سيطرة البرتغاليين وأدرك الصفويون أنهم أصبحوا يشكلون قوة فبدأوا يعملون على كسب صداقتهم وودهم للأنتقام من عدوهم العثمانيين، فأرسلوا سفير الشاه إسماعيل من إيران يحمل عدة مطالب أجيب إلى بعضها فقد اقترح ضمن اقتراحات كثيرة أن:

١. تقدم القوات البحرية البرتغالية بعض سفنها لإيران كى تمكنها من غزو البحرين والقطيف.
٢. وأن يساعد البرتغاليون الشاه على قمع تمرد ضده في مكران بأن يحتلوا جوادر.
٣. وأن يقوم تحالف عسكري ضد العثمانيين بين إيران والبرتغال.
٤. يعين البرتغال نائبًا عن الملك البرتغالي يقيم في القلعة البرتغالية في هرمز.

ورجع البوكيرك إلى الخليج عام ٩٢١هـ/١٥١٦م الذى كان قد مرض مرضًا، فمّر على رأس الحد، وقرياط، ومسقط، وهرمز فحاصر الأخيرة، وقتل حاكمها فاستسلمت فوضع ابن أخيه بيرو حاكمًا على قلعة هرمز ونائبًا عنه في المنطقة ورجع إلى الهند، فمات في الطريق عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، أما ابن أخيه فصار إلى البحرين واحتل مدنها(١).

اتبع البرتغاليون سياسة القهر العسكري واستغلال الشعوب المقهورة في الاستثمارات الاقتصادية وفي تعزيز الحاميات البرتغالية في الخليج العربي وتميز الحكم البرتغالي في الشرق بالوحشية المتناهية في معاملة السكان، لذلك فأن الأساليب البرتغالية القاسية المتمثلة في حرق السفن العربية وإغراقها وتعذيب بحارتها وحرمنها القوى العربية والإسلامية من الأزدهار التجارى الذى نعمت به قبل قدوم البرتغاليين قد زادت في كراهية السكان العرب والمسلمين للبرتغاليين في كل المناطق التى وصلوا إليها(٢).

---

(١) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ط٥، المكتب الإسلامي، ج٧، ج٨، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، صـ٣٣٠، ٣٣١؛ ج.ج.لوريمر: دليل الخليج، ج١، صـ١٤، ١٥؛ حسنين محمد ربيع– ليلي عبد الجواد إسماعيل: تاريخ مملكة هرمز منذ قيامها حتى سقوطها سنة ١٦٢٢م، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، صـ٥٢، ٥٣، شوقي الجمل: هرمز والصراع الإسلامي الصليبي في بدايات القرن العاشر الهجري–السادس عشر الميلادي، مج١٤، ع٢٧، صـ١٠٢، ١٠٣؛ السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك: ترجمة: د.عبد الرحمن عبدالله الشيخ، المجمع الثقافي، ج٣، صـ٥٥٩، ٦٠٠

BAILEY W. DIFFIE and GEORGE D. WINIUS: FOUNDATIONS of the PORTUGUESE EMPIRE ١٤١٥–١٥٨٠, by the University of Minnesota ١٩٧٧, the United States of America, p٢٦٩–٢٧٠.

(٢) عبد العزيز عوض: دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ط١، ج١، دار الجيل بيروت، مكتبة الرائد العلمية عمان الأردن، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، صـ٧٧، ٧٨

ثورات عربية ضد البرتغاليين:

Arab revolts against the Portuguese

وذلك خلال فترات متفرقة بين ١٥٠٧م و١٦٢٢م:

وفي ١٥٢٢م أدى تعيين موظفيين برتغاليين للمراكز الجمركية في هرمز والبحريين وصحار والقريات، والأعمال الوحشية التي قام بها البرتغاليون والروح الصليبية الحاقدة التى كانت تدفعهم لارتكاب أعمالهم، والقرصنة التي لجؤوا إليها في الخليج، وبحر العرب، والمحيط الهندي، إلى أثارة سخط الأهالى مما دفع شيخ هرمز على تنظيم هجوم بري وبحري في وقت واحد على سائر تلك المواقع وقد خسر البرتغاليون أرواحًا كثيرة لأن هذا الهجوم كان مفاجأة لهم، فكانوا يتيحينون الفرصة للثورة على هؤلاء الغزاة، فقد ثاروا بنو ظبية بزعامة الشيخ حسين بن سعيد على الوكيل التجاري البرتغالي في البحرين عام٩٢٧ه/١٥٢١م، وبعد عام انتفض أهل الخليج جميعًا من قلهات حتى البحرين، وكانت الحركة بقيادة شيخ هرمز شاه بندر الذى يخضع للبرتغاليين، وذلك نتيجة أعمال القرصنة التى يقوم بها البرتغاليون، وقد أمر شاه بندر بأحراق المراكب البرتغالية، وقتل الحامية ولكن بعض رجال شيخ هرمز قتلوه وسرعان ما وصل أسطول برتغالى من الهند يقوده ينزيس فدمر صحار تدميرًا تامًا واستعاد هرمز مرة أخرى، ونقل البرتغاليون تعزيزات عسكرية إلى جزيرة هرمز التى أتخذها الثوار مقرًا لقيادة الثورة، وقضوا على الثورة بعد سلسلة من الأعمال الوحشية، وأسرفوا إسرافا بعيدا في التنكيل بالأهالي فأخذوا يغادرونها إلى جزيرة قشم المجاورة، فتعقبهم البرتغاليون واضطر الأهالى إلى أن يتفرقوا فرادى بين موانئ الخليج العربي وأبرمت معاهدة في ميناب سنة٩٢٩ه/ ١٥٢٣م فرضها القائد البرتغالى على شيخ هرمز الجديد، وبموجبها أصبحت هرمز تحت حماية البرتغال وبأشراف دقيق منها، وعمّت هذه الحركة المراكز كلها عدا مسقط التي كان حاكمها الشيخ راشد على خلاف مع حاكم هرمز[1]؛ وكانت معاهدة ميناب ١٥٢٣م هى المعاهدة التى عقدها دورات ميزMeize نائب الملك في الهند مع أمير هرمز الجديد محمد شاه واستندت تلك المعاهدة على المعاهدة السابقة التى عقدها البوكيرك مع سيف الدين، شددت بنود المعاهدة من قبضة البرتغاليين على هرمز فقد محمد شاه سلطته تماما بخضوعة للإدارة

(١) ج.ج.لوريمر: دليل الخليج، ج١،.صـ١٥؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ج٧، ج٨، صـ٣٣٠، ٣٣١؛ محمود شاكر: موسوعة تاريخ الخليج العربي، د.ط، دار أسامة، الأردن عمان، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م، ص١٧٢

البرتغالية مما يعنى سقوط الحكم الوطنى في هرمز يتضح لنا ذلك من شروط المعاهدة[١]، وتتضمن اتفاقية ميناب البنود التالية:

١. تتبع مملكة هرمز ملك البرتغال، ويكون محمد شاه حاكمًا عليها من قبله.

٢. أن يدفع محمد شاه ٦٠ ألف أشرفى سنويًا كضريبة لملك البرتغال، ولكن في حالة حدوث أى تعطيل في وصول أموال التجارة من كجرات إلى هرمز، يخفض من المبلغ ٢٥ ألف أشرفي.

٣. لايجب أن يمتلك أتباع ملك هرمز أسلحة باستخدام المسئولين الرسميين فقط.

٤. لايجب أن يمتلك سلطان هرمز قوة عسكرية إلا للحراسة والخدمة في البلاط وقصر الحكم.

٥. يوفر ملك البرتغال الحامية لأمير هرمز ضد أى عدوان خارجى.

٦. يسلم جميع المسحيين البرتغاليين الذين دخلوا في الإسلام إلى دولة البرتغال.

٧. ظلت جميع الشروط الأخرى المتفق عليها مع البوكيرك عام ١٥١٥م سارية.

شرط أضافي يتمثل في أن المسلمين الذين جلبوا البضائع على متن السفن البرتغالية لم يكونوا معفيين من الرسوم الجمركية لأن الأعفاء ينطبق فقط على السلع التى جلبها المواطنون المسيحيون البرتغاليون، وتم التطرق لذكر الدين لأن هناك مواطنيين برتغاليين أصبحوا مسلمين لاينطبق عليهم الأعفاء من الرسوم الجمركية[٢].

ومن ثم جاءت نجده ثانية عام ٩٢٩ه/١٥٢٣م، واضطر حاكم مسقط راشد أن يهرب من مدينته، وأن يترك الأمر للوالي دلاميرشاه، وقد تمكن القائد البرتغالي من أخضاع مسقط، ثم توجّه إلى صحار فدمّرها، ومنها انتقل إلى هرمز، ولم يستطع البرتغاليون حمل أسراهم ولاإطعامهم فأمر القائد البرتغالي بجدع الأنوف وقطع الآذان ثم أمر بإطلاق صراحهم بعد تشويههم؛ وقامت ثورات أخرى عام ٩٣٢ه/١٥٢٦م في مسقط وقلهات وهرمز، وترجع أسباب الثورة إلى سياسة الاضطهاد والظلم على يد دي ميللر قائد الحامية البرتغالية في هرمز وجاءت نجدة من الهند للبرتغاليين فأخضعت قلهات، ثم مسقط ثم هرمز؛ ومع ذلك أستمرت روح المقاومة والثورة، ومن جراء مكائد وتمرد الرئيس شرف الدين يبدو أنه كان المستشار الأول لشيخ هرمز، وقام لوبوفاز بقمع هذه الثورات بأسطول استقدمه من الهند وحصلَّ متأخرات الجزية المستحقة على حاكم هرمز وفي سنه٩٣٥ه/١٥٢٩م قام مونودي

(١) جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر، المجلد الأول، صـ٧٤

(٢) حسنين محمد ربيع– ليلي عبد الجواد إسماعيل: تاريخ مملكة هرمز منذ قيامها حتى سقوطها سنة ١٦٢٢م، صـ٥٦، ٥٧؛ Shastry, B.s: A CENTURY OF SEA TRADE BETWEEN PORTUGUESE GOA AND HORMUZ ١٥١٠-١٦٢٢ A.D

مركز عيسي الثقافي– مركز الوثائق التاريخية، مجلد ١١، ع٢٢، صـ ٢١٠، ٢١١

كونها حاكم المستعمرات البرتغالية في الهند بزيارة لهرمز فنفي الرئيس شرف الدين إلى البرتغال بناء على أوامر ملك البرتغال، وثارت البحرين أيضًا عام ٩٣٥هـ/١٥٢٩م، فأرسل البرتغاليون حملة لكنها فشلت نتيجة نقص استعداداتها، وكان لهذا الفشل انعكاسات سيئة على هيبة البرتغاليين ونفوذهم في المنطقة، وثارت القطيف في عام١٥٥٠م واستمر العرب في ثوراتهم حتى تمكنوا في النهاية من القضاء على البرتغاليين(١).

وفي الوقت الذى تحاول العرب مقاومة الوجود البرتغالي فقد رحب الفرس ومنذ البداية بالغزاة البرتغاليين وعقدوا معهم معاهدة تضمنت اعتراف الصفويين باستيلاء البرتغاليين على هرمز، وقيام تحالف عسكري بين فارس والبرتغال في الخليج العربي ظاهرة ضد الدولة العثمانية(٢) وحقيقته ضد الوجود العربي ويتضح ذلك من الرسالة التى بعثها البوكيرك إلى شاه فارس والتى أعلن فيها تأييدة الشديد لأطماع الفرس في الخليج العربي بقولة:"وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة فستجدنى بجانبك في البحر الأحمر أمام جده أو عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة" وهكذا وضع البرتغاليون سفنهم الحربية وأسلحتهم النارية في خدمة الأطماع التوسعية الفارسية في الخليج العربي، ولم ينفرط عقد هذا التحالف إلا بعد أن ضعف البرتغاليون وظهرت قوى أوروبية منافسة فتحول الفرس إلى جانب القوى الجديدة(٣).

ومن أسباب الخلافات والحروب بين العثمانيين والفرس:

١. قيام الشاه إسماعيل بأرسال بمعوثين إلى الإمبراطورية العثمانية، لأجل أثارة الفتن على الحدود بمساعدة أمراء بلاد ذي القدرية.
٢. تحالف الشاه إسماعيل مع المماليك ثم مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية.
٣. قيام الشاه إسماعيل بأستقبال الأمير مراد بن أحمد وإعلان حمايته له من أخيه السلطان سليم الأول، ورفض تسليمه إلى العثمانين.
٤. رغبة العثمانيين في التوسع ناحية الشرق.
٥. الصراع المذهبي بين الطرفين.

ولهذا أشتعلت المواجهات العسكرية بين الطرفين في عهد السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني(٤).

---

(١) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، صـ٣٣١، ٣٣٢؛ ج.ج.لوريمر: دليل الخليج، ج١، صـ١٥؛ محمود شاكر: موسوعة تاريخ الخليج العربي، صـ١٧٣.

(٢) بعد نجاح الدولة العثمانية عام١٥٣٤م في جعل العراق تابعًا لها اشتد الصراع البرتغالي العثماني للسيطرة على الخليج العربي خاصة بعد دخول أمراء البصرة والقطيف والبحرين في طاعة العثمانيين، (صبري فالح الحمدى: هرمز ودورها التجاري في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر، الوثيقة، ع٤٧، مجلد٢٤، صـ٦٤)

(٣) محمود شاكر: موسوعة تاريخ الخليج العربي، صـ١٧٣، ١٧٤

(٤) الغالية بنت سالم: الصراع البرتغالى الفارسى العثمانى على جزيرة هرمز (١٥٠٧ – ١٦٢٢ م) رسالة ماجستر، صـ٧٠.

وبالرغم من خضوع أهالى الخليج للسيطرة البرتغالية من حيث المظهر، إلا أنهم لم يستكينوا مدة طويلة لما حل بهم من دمار وضياع لثرواتهم وحريتهم، فقد قاوموا السيطرة البرتغالية بشتى الوسائل حتى أنتهى أخيرًا إلى أنهاك قوتهم، واستعادة كثير من المواقع على ساحل الخليج في مطلع القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادي(١).

(١) نوال حمزة يوسف الصيرفي: النفوذ البرتغالى في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامى، اشراف حسنسن محمد ربيع، جامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة الدراسات الإسلامي، صـ١٣٧

الخاتمة:

يعتبر الصراع الإسلامي البرتغالي مرحلة من مراحل الصراع بين الدول الإسلامية والصليبية الغربية، التي انتقلت من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر والخليج العربي وسواحل الهند الغربية، كذلك كان الاحتلال البرتغالي لشمال أفريقيا وغربها حتى الوصول إلى شرقها عبر طريق رأس الرجاء الصالح، وقد تحولت الخطط البرتغالية من محاربة المسلمين إلى الاستعمار والبحث عن المصالح الأقتصادية، وهو المشروع الاستعماري الذي اجتمعت عليه أوروبا والبابوية، وهو ما يذكرنا بالحروب الصليبية في الشرق الإسلامي، كما كانت معركة ديو البحرية عام ٩١٥ هـ/ ١٥٠٩م بداية لسقوط دولة المماليك، وظهور أول دولة استعمارية غربية في أفريقيا وآسيا.

ينبغى الأشارة إلى أن القوي الإسلامية الكبري التى وجدت وبرزت في العالم منذ بداية الوجود البرتغالي في هرمز تمثلت في كلٍ من: الدولة المملوكية، الدولة الفارسية، والسلطنة العثمانية إلا أن هذه القوى لم تسع إلى توحيد صفوفها لمواجهه المستعمر البرتغالي، بل أنها كانت تتعاون ضد بعضها البعض ودخلت في مواجهات عسكرية مباشرة بينها فكانت هذه التصادمات من ضمن الأسباب التى سهلت للبرتغاليين عملياتهم الأستعمارية في منطقة الخليج؛ ومع بداية الغزو البرتغالي للخليج العربي كانت هناك قوتان متنافستان، هما مملكة هرمز والإمارة الجبرية، أمّا عُمان فكانت تعاني أوضاعاً سياسية غير مستقرة بسبب الصراع بين النبهانيين والإباضية مما سهل على الغزو البرتغالي مهمته، والغزو البرتغالي لمنطقة الخليج العربي كان سبباً في التدهور الاقتصادي وعانت الموانئ العربية من آثار ذلك التدهور بعد ما كان لها من أهمية بالغة في تجارة المحيط الهندي.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

١. جمال زكريا قاسم: تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر(الأمارات العربية في عصر التوسع الأوربي ١٥٠٧-١٨٤٠)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧ه/١٩٩٧م، مج١.

٢. حسنين محمد ربيع- ليلي عبد الجواد إسماعيل: تاريخ مملكة هرمز منذ قيامها حتى سقوطها سنة ١٦٢٢م، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨م.

٣. شوقي الجمل: هرمز والصراع الإسلامي الصليبي في بدايات القرن العاشر الهجري-السادس عشر الميلادي، الوثيقة، ١٤١٥ه/ ١٩٩٥م، مج١٤، ع٢٧.

٤. عبد العزيز عوض: دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ط١، دار الجيل بيروت، مكتبة الرائد العلمية عمان الأردن، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج١.

٥. محمد حسن العيدروس: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط٢، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨م.

٦. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ط٥، المكتب الإسلامي، ج٧، ج٨، ١٤٢١ه/٢٠٠٠م.

٧. سويم العزى: الشيخ زايد ودورة في نشوء وتطور دولة الأمارات العربية المتحدة، مركز الكتاب الأكاديمي، ١٤٣٦ه/ ٢٠١٥م.

٨. فالح حنظل: العرب والبرتغال في التاريخ،٩٣ه:١١٣٤ه/ ٧١١م:١٧٢٠م، ط١، المجمع الثقافي ، أبو ظبي- الأمارات، ١٤١٨ه-١٩٩٧م.

المراجع المعربة:

٩. ارنولد ويلسون: تاريخ الخليج، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط٤، مسقط، سلطنة عُمان، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

١٠. السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك: ترجمة: د.عبد الرحمن عبدالله الشيخ، المجمع الثقافي، ج٣، أبو ظبي الأمارات، د.ت.

١١. ج.ج.لوريمر: دليل الخليج، د.ط، القسم التاريخى، طبعه جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، د.ت، ج١.

١٢. نصر الله فلسفي: إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي٩٠٦-١١٤٨ه/ ١٥٠٠-١٧٣٦م، ترجمة وتقديم محمد فتحى يوسف الريس، د.ط، دار الثقافة للطابعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٩ه/ ١٩٨٩م.

الموسوعات:

١٣. إسماعيل نوري الربيعي: السيطرة البرتغالية وأثرها على النشاط البحرى في منطقة الخليج العربي ١٥٠٧-١٥٢١، مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، مج٢، ع٣.

١٤. زهير قاسم السامرائي: إمارات عربية خالدة في التاريخ "إمارة هرمز نموذجاً" دراسة تاريخية للدور السياسي ولأقتصادي في الخليج العربي، كلية الآداب، جامعة سامراء، مجلة البحوث كلية الآداب، د.ت.

١٥. صبري فالح الحمدى: هرمز ودورها التجاري في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر: تجارة هرمز وتطورها حتى القرن السادس عشر، مركز عيسى الثقافي – مركز الوثائق التاريخية، الوثيقة، ع٤٧، مج ٢٤، ٢٠٠٥م.

١٦. محمود شاكر: موسوعة تاريخ الخليج العربي، د.ط، دار أسامة، الأردن عمان، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م.

١٧. مريم جمعة عبد الله: القوى السياسية في منطقة الخليج العربي، مجلة مدرات ونقوش، العدد ١٦-١٧، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م.

الرسائل العلمية:

١٨. عمر جبرى: عرقلة العثمانيين للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية (١٤٩٧م-١٥٥٤م)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. فله مساوى القشاعى، قسم التاريخ-كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية- جامعة الجزائر، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى.

١٩. الغالية بنت سالم بنت خليفة المغيرية: الصراع البرتغالى الفارسى العثمانى على جزيرة هرمز (١٥٠٧ – ١٦٢٢ م) رسالة ماجستر في الآداب، قسم تاريخ، المشرف بوعلام البوسعيدي ابراهيم بن يحيي بلقاسمي، جامعة السلطان قابوس سلطنة عمان، ١٤٣٧ه/ ٢٠١٦م.

٢٠. نوال حمزة يوسف الصيرفي: النفوذ البرتغالى في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامى، اشراف حسنسن محمد ربيع، جامعة الملك عبد العزيز كلية الشريعة الدراسات الإسلامي.

المراجع الأجنبية:

٢١. BAILEY W. DIFFIE and GEORGE D. WINIUS: FOUNDATIONS of the PORTUGUESE EMPIRE ١٤١٥-١٥٨٠, by the University of Minnesota ١٩٧٧, the United States of America, p٢٦٩-٢٧٠

٢٢. Shastry, B.s: A CENTURY OF SEA TRADE BETWEEN PORTUGUESE GOA AND HORMUZ ١٥١٠-١٦٢٢ A.D

مركز عيسي الثقافي- مركز الوثائق التاريخية، مجلد ١١، ع٢٢.

٢٣. Mohammed Hameed Salman (MA): Aspects of Portuguese Rule in the Arabian Gulf, ١٥٢ ١-١٦٢٢, Being a Thesis submitted for the Degree of Doctor of Philosophy In the University of Hull, December ٢٠٠٤.